تجميع لشرح سورة الأعلى

- **المصادر :**

1. القرآن تدبر وعمل
2. السعدي
3. الوسيط
4. البغوي
5. ابن كثير
6. إشراقات قرآنية
7. الطبري
8. التحرير والتنوير

- **اولا : أسماء السورة :**

1. سورة الأعلى : وهذا الذي ذكره جمهور أهل التفسير، وغالب كتاب المصاحف؛ أخذاً من هذا الاسم المتميز في السورة، وهو قوله: ((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى))[الأعلى:1]، حيث لا يكاد يوجد وصفاً لله سبحانه وتعالى إلا في هذه السورة؛ ولهذا خصت به.
2. سورة سبح: وهكذا سمتها عائشة رضي الله عنها، كما في السنن عن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بـ(سبح))، وذلك اقتصاراً على أول لفظ في السورة.
3. سورة "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى" : حيث تسمى السورة باسم الآية الأولى منها، وهذا ورد في أحاديث كثيرة جداً عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما في الحديث المتفق عليه في قصة معاذ رضي عنه، لما أطال بقومه الصلاة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (هلا قرأت بـ((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى))[الأعلى: 1]) والحديث متفق عليه.
وكذلك ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: (ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حتى قرأت سوراً فيها: ((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى)) [الأعلى:1]) يعني: من ضمنها: ((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى))[الأعلى:1].

- **ثانيا : زمن نزول السورة :**

1. الجمهور على أنها سورة مكية: والدليل على ذلك حديث البراء الذي ذكر قبل قليل، أنه يقول: (لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة -مهاجراً يعني- حتى قرأنا: ((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى))[الأعلى:1]).
إذاً: هي سورة مكية، وقد ذكر أكثر العلماء أنها هي السورة الثامنة في النزول، يعني: نزل قبلها سبع سور تقريباً، ومما يؤكد أنها مكية: الموضوعات التي تناولتها هذه السورة، فإن فيها الحديث عن تسبيح الله، وعن الإيمان به سبحانه، وعن الوعظ والموضوعات التي عادة ما تتكرر في السور المكية.
2. ذهب بعضهم إلى أنها سورة مدنية أو أن فيها آيات مدنية: وينسب هذا إلى بعض الصحابة كـ أبي سعيد الخدري .. وغيره، وأنهم قالوا في قوله سبحانه: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى))[الأعلى: 14-15] أن المقصود زكاة الفطر وصلاة العيد، وهذه لم تكن إلا بـالمدينة

الراجح : والصحيح الأول أن السورة مكية كلها، وحتى هذه الآيات على فرض أن المقصود بها صلاة العيد وصدقة الفطر، فهذا لا يلزم منه أن تكون السورة مكية؛ لأن يكون هذا مما تضمنته الآيات من المعاني، وليس أنها نزلت في مشروعيته. [اشراقات قرآنية]

- **ثالثا: الترابط الموضعي للسورة :**

1. ذكر الله عز وجل في سورة الطارق خلق الإنسان فقال تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ) [الطارق: 5]، وذكر خلق النبات فقال:(وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) [الطارق: 12]، وذكر هنا خلق الإنسان فقال: (الَّذِي

خَلَقَ فَسَوَّى)، وذكر خلق النبات أيضًا فقال: (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى* فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى)، فدل ذلك على أنه الخالق الأعلى، سبحانه.

2. قصة النبات هنا أوضح وببسط أكثر، وخلق الإنسان هناك أكثر تفصيلا.
3. هو القرار الثالث كما أخذنا في دورة خذ قرار أثبت افصل أعلى كمل.
4. انتهت سورة الطارق ب انهم يكيدون كيدا ، أي إذا انشغل بك أهل الباطل فانشغل انت بالله.

- **رابعا : موضوعات / مقاصد السورة :**

1. التعريف بصفات الله عز وجل والدلائل على قدرته ووحدانيته. (أهمية العبادة)
2. معجزة الوحي والقرآن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وتيسير حفظه . (أهمية القرآن)
3. الوعظ والتذكير. (أهمية الدعوة)

- **خامسا : الشرح التفصيلي للسورة :**

(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)

سبح لها أكثر من معنى:

1. قل سبحان ربي الأعلى . وإلى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين .
عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ " سبح اسم ربك الأعلى " فقال : " سبحان ربي الأعلى " . (البغوي)
2. نـزه يا محمد اسم ربك الأعلى، أن تسمي به شيئًا سواه، ينهاه بذلك أن يفعل ما فعل من ذلك المشركون من تسميتهم آلهتهم بعضها اللات وبعضها العزّى.
3. نـزه تسميتك يا محمد ربك الأعلى وذكرك إياه أن تذكره إلا وأنت له خاشع متذلل؛ قالوا: وإنما عُنِي بالاسم: التسمية، ولكن وُضع الاسم مكان المصدر.
4. صلّ بذكر ربك يا محمد ، يعني بذلك: صلّ وأنت له ذاكر، ومنه وجل خائف. (الطبري)
5. نـزه الله تعالى عن ان تتسبب في سبه سبحانه وتعالى كما قال: وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ " فينبغي للمؤمن أن يتفطن إلى أن عليه ألا يأتي بابا من أبواب الخير ، إذا كان سيترتب عليه مفسدة أعظم وًهذا المعنى مرتبط بقوله تعالى (فذكر إن نفعت الذكرى). (اشراقات قرآنية)

س- فإن قال قائل لم قال سبحانه (سبح اسم ربك ...) ولم يقل سبح اسم الله ؟

1. لأن الرب مختص بالتربية والعناية والرعاية والعطف
2. لأن المقام هنا مقام ثناء على عطاء ربنا تبارك وتعالى ونعمه واكرامه ، فلفظ الربوبية اليق ولأنه الرب يطلق على الخالق والمالك المتطرف وعلى المنعم (اشراقات قرآنية بتصرف).

{ الأعلى } مأخوذ من العلو ، ومثله العلي (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيم)
فاسم الله هو العلي والأعلى في معناه ، ولكنها صيغة مبالغة تدل على كمال العلو ، ونحن نؤمن لله تعالى بالعلو من جميع وجوهه ، فالله تعالى له العلو في ذاته ،حيث استوى على العرش ، وهو فوق السموات (يخافون ربهم من فوقهم) وهو معنى قررته الشريعة ، ودلت عليه الفطرة ، ودل عليه العقل ، من غير أن نسمح لعقولنا بتصور كيفية لذلك؛ وله سبحانه علو القهر والغلبة والسلطان على عباده، وله علو القدر والمكانة. (مع الله لسلمان العودة)

س- لماذا اختص الله عز وجل هذه السورة باسمه الأعلى؟

وإيثار هذا الوصف في هذه السورة لأنها تضمنت التنويه بالقرآن والتثبيت على تلقيه وما تضمنه من التذكير وذلك لعلو شأنه فهو من متعلقات وصف العلوّ الإلهي إذ هو كلامه .

أخرج الإمام أحمد عن عامر بن عقبة الجهنى قال : " لما نزلت : (فَسَبِّحْ باسم رَبِّكَ العظيم) قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اجعلوها فى ركوعكم " فلما نزلت : (سَبِّحِ اسم رَبِّكَ الأعلى) قال : " اجعلوها فى سجودكم " " .

وقد جُعل من قوله تعالى : { سبح اسم ربك الأعلى } دعاء السجود في الصلاة إذ ورد أن يقول الساجد : سبحان ربي الأعلى ، ليقرن أثر التنزيه الفعلي بأثر التنزيه القولي (التحرير والتنوير)

(الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ)

ثم وصف- سبحانه- ذاته بعد وصفه بالأعلى بصفات كريمة أخرى فقال: الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى.
والخلق: هو الإيجاد للشيء على غير مثال سابق
والتسوية: هي جعل المخلوقات على الحالة والهيئة التي تناسبها، وتتلاءم مع طبيعتها.
أى: الذي خلق الخلائق كلها، وجعلها متساوية في الأحكام والإتقان حسبما اقتضته حكمته. ومنح كل مخلوق ما يناسب طبيعته ووظيفته. (الوسيط)

س- لماذا بدأ الله تبارك وتعالى بالخلق؟
لأن الخلق من اول أدلة الألوهية، لذلك كان الأنبياء عليهم السلام يستدلون على الله سبحانه وتعالى بالخلق كما قال موسى عليه السلام (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) والنبي صلى الله عليه وسلم اول ما نزل عليه (اقرأ باسم ربك الذي خلق)

س- لماذا قال (الذي خلق فسوى) ولم يقل الذي خلق وسوى ؟
1. جاء بالفاء لتدل على الاتصال القوي بين الخلق والتسوية.
2. تشير إلى أن الأمر الثاني مقصود مثل الأول ، أو أشد؛ أي أن التسوية مقصودة مثل الخلق؛ لأنه لو وجد خلق بغير تسوية ، ربما لم تكتمل به الحكمة ولا النعمة، لكن إذا خلق فسوى اكتملت. (إشراقات قرآنية بتصرف)

(وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ)

1. قال مجاهد : هدى الإنسان لسبيل الخير والشر ، والسعادة والشقاوة ، وهدى الأنعام مراتعها .
2. قال مقاتل والكلبي : قدر لكل شيء مسلكه ، " فهدى " عرفها كيف يأتي الذكر الأنثى .
3. قيل : قدر الأرزاق وهدى لاكتساب الأرزاق والمعاش .
4. قيل : خلق المنافع في الأشياء ، وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها .
5. قال السدي : قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج من الرحم .
6. قال الواسطي : قدر السعادة والشقاوة عليهم ، ثم يسر لكل واحد من الطائفتين سلوك [سبيل] ما قدر عليه . (البغوي)

<u>والصواب</u> من القول في ذلك عندنا، أن الله عمّ بقوله: (فَهَدَى) الخبر عن هدايته خلقه، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى، وقد هداهم لسبيل الخير والشرّ، وهدى الذكور لمأتى الإناث، فالخبر على عمومه حتى يأتي خبر تقوم به الحجة، دالّ على خصوصه. (الطبري)

(وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ)

قوله سبحانه-: وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعى. فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوى بيان لمظهر آخر من مظاهر قدرته- تعالى-، التي لا يعجزها شيء.

والمرعى: النبات الذي ترعاه الحيوانات، وهو اسم مكان للأرض الذي يوجد فيها النبات.
والغثاء: هو اليابس الجاف من النبات الذي ترعاه المواشي.
والأحوى: أى: المائل إلى السواد، مأخوذ من الحوّة- بضم الحاء مع تشديد الواو المفتوحة- وهي لون يكون بين السواد والخضرة أو الحمرة. ووصف الغثاء بأنه أحوى، لأنه إذا طال عليه الزمن، وأصابته المياه، اسود وتعفن فصار أحوى.

أى: وهو- سبحانه- وحده، الذي أنبت النبات الذي ترعاه الدواب، حالة كون هذا النبات أخضر رطبا. ثم يحوله بقدرته- تعالى- بعد حين إلى نبات يابس جاف.

وهذا من أكبر الادلة المشاهدة، على أنه- تعالى- يتصرف في خلقه كما يشاء، فهو القادر على تحويل الزرع الأخضر إلى زرع يابس جاف، كما أنه قادر على إحياء الإنسان بعد موته.

فالمقصود من هذه الآيات الكريمة، الإرشاد إلى كمال قدرته، وتنوع نعمه- سبحانه-، حتى يزداد المؤمنون إيمانا على إيمانهم، وحتى يعود الكافرون إلى رشدهم بعد هذا البيان الواضح الحكيم. (الوسيط)

س- قال الله تبارك وتعالى (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ..) فماذا أفادت الفاء؟!
الفاء تدل على التعقيب، واشارة الى سرعة زوال الدنيا.

وضرب المثل للدنيا بالمرعى الذي صار غثاء أحوى ، بخلاف الآخرة التي فيها الخلود الأبدي بلا زوال ، كما قال في آخر السورة {الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ }, وقال أيضا {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } فبين اول السورة وآخرها ترابط واضح ! (إشراقات قرآنية)

(سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى * إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَما يَخْفى)

أى: سنقرئك- أيها الرسول الكريم- القرآن على لسان أمين وحينا جبريل- عليه السلام-. وسنجعلك حافظا وواعيا لما سيقرؤه جبريل عليك، بحيث لا تنساه في وقت من الأوقات، أو في حال من الأحوال، إلا في الوقت أو في الحال الذي يشاء الله- تعالى- أن ينسيك شيئا من ذلك. فإنك ستنساه بأمره- تعالى- لأنه وحده- عز وجل- هو العليم بما كان ظاهرا من الأشياء، وبما كان خافيا منها.

قال الإمام الشوكانى ما ملخصه: قوله: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى أى: سنجعلك قارئا بأن نلهمك القراءة. فلا تنسى ما تقرؤه، والجملة مستأنفة لبيان هدايته صلى الله عليه وسلم الخاصة، بعد بيان الهداية العامة، وهي هدايته صلى الله عليه وسلم لحفظ القرآن.

وقال الإمام الرازي: وهاتان الآيتان تدلان على المعجزة من وجهين:

- أحدهما: أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أميا، فحفظه لهذا الكتاب المطول عن غير دراسة، ولا تكرار، ولا كتبه ، خارق للعادة فيكون معجزا.
- ثانيهما: أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة. فهذا إخبار عن أمر عجيب غريب مخالف للعادة. سيقع في المستقبل، وقد وقع، فكان هذا إخبارا عن الغيب، فيكون معجزا...

(إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ)

مراد بهذا الاستثناء: بيان أنه- تعالى- لو أراد أن يصير الرسول صلى الله عليه وسلم ناسيا للقرآن لقدر على ذلك، كما قال- سبحانه- وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ. إذ هو- تعالى- على كل شيء قدير، ولكنه لم يشأ ذلك فضلا منه وكرما. (الوسيط)

وقيل معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ ، أي : لا تنسى ما نقرئك إلا ما شاء الله رفعه ; فلا عليك أن تتركه .

(إنه يعلم الجهر وما يخفى)
أي : يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم ، لا يخفى عليه من ذلك شيء .(ابن كثير)

(وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ)

ومعنى لليسرى:
1. أي للطريقة اليسرى وهي عمل الخير .
2. قال ابن عباس : نيسرك لأن تعمل خيرا .
3. ابن مسعود : لليسرى أي للجنة .
4. وقيل : نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة السهلة قال معناه الضحاك .
5. وقيل : أي نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به (القرطبي)

أي نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر. (ابن كثير)

فوعْد الله النبي صلى الله عليه وسلم أنه يسره لتلقي أعباء الرسالة فلا تشق عليه ولا تحرجه تطميناً له إذ كان في أول أمر إرساله مشفقاً أن لا يفي بواجباتها . أي أن الله جعله قابلاً لتلقّي الكمالات وعظائم تدبير الأمة التي من شأنها أن تشق على القائمين بأمثالها .

ومن آثار هذا التيسير ما ورد في الحديث : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيْسرهما » وقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « إنما بعثتم مُيَسِّرين لا مُعسِّرين » . (التحرير والتنوير)

(فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ)

{ فَذَكِّرْ} بشرع الله وآياته { إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى } أي: ما دامت الذكرى مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه.

ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأمورًا بها، بل منهيًا عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين. (السعدي)

ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم ، فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال أمير المؤمنين علي ، رضي الله عنه : ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقال : حدث الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟! (ابن كثير)

- **سادسا : الواجب العملي / الفائدة العملية :**

1. تعاهد القرآن بالمراجعة والحفظ.
2. استحضار مراقبة الله عزوجل لي في أمري كله.